دونيا إيزابيل وبهجة الحب

نزار عبدالستار

الواضح ان دونيا إيزابيل الليندي غير متأكدة من شيء قدر يقينها المحسوس انها قارورة خزفية لرماد جثمان. ثمة ملابسات فوضوية وحظوظ مدمرة تجعل الروائي غير قادر على مناهضة حقيقته. تلك الحقيقة الخلاقة التي غالبا ما نفشل في اكتشافها. البعض منا يؤمن بنظرية ضربة الحظ، ومن غير المستبعد ان يعتقد احدنا انه لو قدر له مصادقة مندوب دار» بلازا وجانيث « الاسبانية، ريكاردو كافاييرو، فإنه برواية واحدة قد يفتح الاندلس من جديد. اوهام كهذه لا صلة لها بمعاناة الموهبة.انه فن يشبه التيه الذي غاب فيه المغامر الاسطوري انطوان دي سانت اكسوبري دون ان يحقق الموت.

في كل دقيقة تصدر روايـة، لكن من الصعب معرفة إن كان كاتبها قد تكلم عن حقيقته الحقيقية. ليس الجميع يعرف ان بلزاك كان غرفة مؤثثة على طراز لويس السابع عشر، وان فلوبير ذي أم يقطر حليبا، وان فرجينيا وولف ساعة جدار عاطلة، ونجيب محفوظ مقهى في منتصف النهار.

مشكلة الرواية الكبرى انها ليست واضحة ومعلومة مثل كتاب لتعلم فن الطبخ. توجد نصائح عدة ولكن الغموض يلف الكثير من الكتب التي تفسر محنة الكتابة. اعتقد ان الصورة الاصح ان هـؤلاء العباقرة تربطهم مصائر تسير بهم نحو اكتشاف فطرة الروي بطريقة غير متكلفة. انهم لا يجدون في انفسهم ميزة واضحة سوى القدرة على التعامل مع الشهرة ببرودة جبل ثلجي.

دونيا ايزابيل الليندي تبدو طافحة بفطرة انها امرأة مصابة بحب الانجاب، وانها صورة حديثة منسوخة من سلسلة مكررة من الجدات. اغلب العباقرة لا يبدو عليهم انهم عاشوا احداث رواياتهم، وهذا بالتحديد يظهر جليا على دونيا ايزابيل الناشطة في الحس الانثوي. في رواياتها دائما ثمة امرأة تولّد قوة خرافية للقاء الرجل المناسب. هو ليس الاصرار المعروف وانما هو التمسك بطاقة الأنوثة لنيل السعادة؛ فعادة ما يتأخر الرجل المناسب كثيرا ويكون لزاما بذل المعجزات للامساك به في الفرصة الاخيرة. انها مواقيت نسائية خاصة تفرض حبكتها.

لقد اعتدنا على وجود أزمة جسد واعترافات ولكن التشيلية القصيرة التي لها نظرة ضفدعة تقرن الحب بالهجرة فكل بطلاتها يهاجرن بحثا عن الرجل. نساؤها لسن مستسلمات وانما يخلصن للبهجة. الروايات تشبه الكذب الكاريزمي. انها مبالغات استعطافية مثل ادعاء المرض لجذب الاهتمام لذلك فدائما هناك حشد هائل من الاحداث التي ترسم مسارات تكوينية لمدن وجمهوريات ولبشر يرتدون قبعات الثوار بينما الحقيقة ان الامر يتعلق برغبة امرأة قلقة على سنوات باقية من عمر الجمال. انه الاصرار الاكثر متعة من صورة الجسد.

النقد الادبي لا يعرف ان ركوب الدراجة الهوائية هو مركز التفكير والموهبة عند رجل خفيف الوزن يدعى محمد خضير، وان امنية كونراد المطلقة ان يسمح له بإمساك الدفة، لذلك يعد النقد اكثر مفاصل الابداع غباء. مع دنيا إيزابيل تتجلى الاوهام عارية وبلا مساحيق تجميل. يمكن ان نكون اكثر انصافا ونقول ان الامر برمته ليس استثنائيا فنحن نتورط بالشقاء الابدي من اجل فراش مشروع فما الذي يمنع من ربط احتلال اسبانيا لإمريكا الجنوبية بقصة امرأة تعشق قائداً عسكرياً فتدير جيشاً من المعتوهين وتؤسس مدنا استعمارية جديدة من اجل ان يبقى القائد المتهور في فراشها، هكذا هي روايات التشيلية ايـزابـيـل. تتبع من ارادة المضي قدما من اجل الوصول الى الرجل الاخير في حياتها. القيمة العظمى للـرواية انـها حلمنا اليقظ. من يحقق لنا هذا يكون روائيا برغم انفنا. دونيا ايزابيل واحدة من بين نساء حملن الحقيقة في ارحامهن. ان المـرأة كفكرة تـكون مفهومة اذا اقترنت بالمفهوم التقليدي للمنزل او البيت الاسري.

ان البيت السعيد هو دائما عنوان المرأة المخلصة صاحبة الرسالة الحياتية الـكبرى. النـسـاء او لـنـقل ان عظمة النساء تكمن في انهن يصنعن بالحب بيوتا مزدهرة الحياة. وان الرجال الابطال هم في العادة فراخ امرأة سليمة القلب. لو قدر لي ان أتناول العشاء مع دونيا ايزابيل فإنني اتوقع ان تستعمل كفها في صب الحساء في ماعوني. انه الاستسلام الكامل للمصير الانثوي، هذا بالتحديد هو الفرق بين دونيا ايزابيل واقرب اسم نسائي الى الذاكرة.

الزمن الذي عاشته أسرة آدم قبل ان يأخذ عزرائيل اول روح بشرية لم يحتو على افكار ذات قيمة. واتوقع انها مجرد اخيلة بشأن الطعام وبعض الخجل بشأن ممارسة الحب في العراء الطلق.

من هنا يكون الموت صدمة ايزابيل الليندي الكبرى. انها تحدثنا دون ملل عن باولا ابنتها التي ماتت في سن مبكرة.ان التحول الاخير الذي وصلت اليه هذه الروائية هو ان تكون قارورة خزفية لرماد جثمان باولا: الابنة التي رحلت قبل الاوان. الموت عدو الحب الاكبر لذلك فان اعظم قصص الحب كانت تنتهي بموت الحبيبين. انه الوفاء الوحيد المنطقي لمفهوم ابدية العشق.

دونيا ايزابيل تكلمت عن الموت بأناقة، النساء هنّ العلامة الاكثر سطوعاً للحزن. جنازاتنا تحتاج الى مبالغات النساء. انه حب من النوع المأتمي لذلك لم يعد مجدياً حبس الحرقة.

الانتحال والمخادعة هما اعظم ما يقدمه الفنان. ارى من الواقعية القول انه شمعة تحترق. انها صورة مخمورة وبائسة قطعاً ولكنها تبدو لي حقيقية. ايزابيل الليندي لا تملك اقنعة فكرية. انها امرأة تشتهي الرجل الاخير لذلك فكل المصادفات تسير بقدرية الحب وبهجته.

اعتقد، وهذا مبعث انتشائي الكلي، اننا بهذه الاوهام فقط نستطيع ان نقدر الفن.

النساء وطلبة الدراسات العليا ابرز زوّار المعرض

تميز معرض اربيل الدولي الرابع للكتاب، بتوافد اعداد كبيرة من الزوار من مختلف شرائح المجتمع وابرزهم طلبة الدراسات العليا والباحثون للإطلاع على الاصدارات الجديدة واقتناء ما يتناسب مع بحوثهم ودراساتهم، اضافة الى توافد اعداد كبيرة من النساء بشكل لافت خلال دورة هذا العام.

سهير عبد الواحد تدريسية من جامعة اربيل كانت تطلع على بعض معروضات الكتب بمرافقة زميلتها لكنها تركت الجناح دون ان تشتري شيئاً فسألتها ما رأيك بمعروضات الدور المشاركة فقالت: فوجئت بوجود مصادر جديدة لكن اسعارها مرتفعة قليلاً، في الجناح المجاور وقف احدهم ويبدو في الخمسين من عمره ليعبئ كميات من الكتب التي ابتاعها من جناح مصر،سألته هل تعرفنا على اسمك؟ فقال اسمي محمد فخري كريم من كركوك املك مكتبة هناك، اشتريت كتبا بعناوين متعددة مثل كتب الاذكار للأمام النووي واحياء علوم الدين والغنية للشيخ عبد القادر والروح لابن قيم وقد استفدت كثيرا من الاسعار المناسبة لتلك الاصدارات .وكم دفعت لاجلها كلها؟ قال :٧٤ الف دينار عراقي .

أما ويرهيل من كلية التربية الرياضية جامعة صلاح الدين فقال :هذه اول زيارة لي للمعرض، جئت ابحث عن مصادر لدراسة الماجستير، والاسعار هنا مناسبة بالمقارنة مع ما موجود منها في السوق المحلية،

زكار عزيز طالبة دكتوراه من جامعة اربيل /الجامعة المستنصرية في بغداد قالت: انا من اهل اربيل،ادرس الرواية وابحث عن كتب البنية السردية،لكن الاسعار هنا مرتفعة جداً وعندما سألت البائعين عن سبب ذلك قيل لي ان الحكومة الكردية لم تعد تدعم وجودنا هنا،ناهيك عن ارتفاع اجور السكن والخدمات الاخرى في اربيل ما انعكس على اسعار الكتب .

وفي جناح الدار العربية للعلوم وقف هيمن جرجيس يقلب في الكتب، وعندما سألناه ماذا اقتنيت ؟ قال انا اطلع فقط على المعروضات،واحدد ما اريده لاحقاً وكيف وجدت المعرض؟ قال:انه جيد وخصوصاً كتب الاطفال، ففيها تنوع لافت،كما اني ابحث عن كتب جديدة لهم ولا اعرف بصراحة ما اختاره، د.سردار محمد امين من كلية العلوم الاسلامية في اربيل قال:هذه زيارتي الثانية،وابحث عن كتب في العلوم الاسلامية،والاسعار هنا جيدة نوعاً ما،وفي رواق آخر من المعرض كانت سارة صلاح خريجة كلية الزراعة ماتزال تبحث عن ضالتها من الكتب وتقول:هذه زيارتي الاولى ابحث عن الكتب العلمية، وما اراه هنا بصراحة ممتع لانك تشعر بأنك تغوص في بحر واسع من الثقافة.

وعن ارتفاع أسعار الكتب وعدم طبع اسعارها على المعروضات اخبرنا هيثم زياد مدير المعرض بالقول: وجهنا انذارات لجميع دور العرض بالالتزام بالاسعار ووضعها بشكل واضح على الكتاب، كما في معروضات دار(المدى) وجميع كتب الدور اللبنانية،واسعارها موجودة ايضاً في مواقع الانترنت، كما لدينا قائمة بأسعار جميع الكتب والمخالف سوف يعرض نفسه المساءلة، وبشأن وضع الاسعار على اغلفة الكتاب قال :ان السعر محدد بالدولار الامريكي وهي عملة عالمية ثابتة، انهم يتحججون للتلاعب ليس الا.

سمر سمير بائعة في دار الغرب الاسلامي، اقتنت مجموعة من الكتب التي وجدتها قيمة، وقالت: الكتب هنا متنوعة والاقبال عليها واسع ايضاً، وهناك خصم بنسبة ٢٥٪ لجميع المبيعات.في الجناح، وبالقرب من جناح دار القلم/ لبنان التقينا الدكتورة نانا احمد ماجستير/اطفال من جامعة هولير الطبية قالت : ابحث عن كتب تفيد دراستي وكذلك كتب للاطفال وتعلم فنون الطبخ لأني ربة بيت قبل كل شئ، ومن الجميل ان يتعلم الانسان مهارات جديدة عن كل الفنون، والكتب هنا جيدة واسعارها معقولة جداً، وكيف تجدين اقبال المراة على القراءة واقتناء الكتب؟ قالت: اكيد هناك تقدم ملحوظ في اقبال النساء على زيارة معارض الكتب واقتناء الجيد منها وحتى لوكانت عن فنون الطبخ او التجميل او تربية الاولاد، فكل تلك الامور مهمة ايضاً لأنها تطلعنا على الاساليب الحديثة في التربية والصحة العامة،

ليلان حميد من جامعة اربيل كانت برفقة مجموعة من زميلاتها، كن قد انتهزن تأجيل محاضراتهن في الجامعة ليقمن بزيارة المعرض وعن رأيها بالكتب قالت ليلان :بصراحة لم اكن اتوقع هذا الكم من الكتب وبصراحة انا في حيرة في ماسأختاره فأنا اعشق كتب الاعلام وفنون الاتصال والعلاقات العامة، زميلتها بروين شاكر قالت: اتمنى ان اجد كتبا لغادة السمان (المجموعة الكاملة) وقصصاً عالمية مترجمة،وعن رأيها بالمطالعات الخارجية والثقافة العامة اكدت انها تلحظ توجها جيداً لدى المرأة لاقتناء الكتب والمطالعة وهذا شيء حضاري ويعكس رغبة المرأة العصرية لتطوير قابلياتها،وشاركتها الرأي زميلاتها سر فراز محسن ونازدار خورشيد وميديا نوزاد.

انا والكتاب

منذ أن كنت، كان الكتاب معي قريباً من (الكاروك) القديم !

لم اكن -في مايس ١٩٣٧ حيث ولدت -اعرف القراءة بل اني -مثل سائر الاطفال في ذلك العمر الطري لم اكن استطيع ان ألثغ.

لكني -وهذا مؤكد بشهادات الشهود - كنت انام هادئا وأنا استمع الى صوت عبد الحميد حمودي الرخيم وهو يرتل القرآن الكريم او يقرا شيئا من الحماسة او دواوين البهاء زهير او عمر بن الفارض او الساحر العظيم المتنبي .

كان الوالد المغفور له واحداً من مثقفي بغداد في عصره وهو صديق حميم لمحمود السيد ومحمد مهدي الجواهري وبحر العلوم ومحمود الحبوبي ومهدي مقلد و عشرات المثقفين والصحفيين البارزين، وكانت الوالدة السيدة نعيمة عبد الرزاق البراك رحمها الله واحدة من أوائل المعلمات العراقيات .

في جو كهذا وفي مكتبة شخصية مختارة لا بد – أذا توفرت الرغبة وارتفع دافع الحافز – ان يكون الاهتمام بالكتاب حالة طبيعية، لذا نمت مكتبتي الشخصية تدريجياً معتمدة بادئ الامر على مكتبة البيت، ثم كان من الطبيعي وانا في مرحلة التوثب ان تنفصل مكتبتي الشخصية عن مكتبة الوالد وان تتكون من كتب أحدث في الادب والمسرح.

وعند قيام استقلالي الذاتي عملياً بالتدريس في مدن الصويرة والديوانية والدغارة – حيث استقلالي التام – كبرت المكتبة وازدادت محتوياتها غنى وتنوعاً.. كانت الكتب تصلني من حيث احتسب ولا احتسب ،من نزار عباس وخضير عبد الامير في بغداد ومن فاضل السباعي في حلب ومن سمير تنير في بيروت ومن رياض عصمت وابراهيم عابدين في دمشق وغيرهم من الاصدقاء.

بعض الكتب رفعت من المكتبة لانها لا تنسجم وتوجهاتي وبعض الكتب والموسوعات بيعت باثمان بخسة سدا للحاجة – والكتاب صديق وفي وهو نافع اوقات الضيق – وبعض انواع الكتب ازداد عددها بسبب الحاجة اليها والاهتمام بموضوعاتها مثل كتب القصة العر اقية والنقد والدراسات التاريخية والفولكلور ..وهكذا نما الحرص على الكتاب عندي ومازال ...وسيظل الكتاب عندي عالما احيا به ولا افترق عنه ، فلست انا من دون كتاب ولن اكون.

باسم عبد الحميد حمودي